الهيئة العامة للتعليم التطبيقي والتدريب
معهد التربية للمعلمين

مجلة اللغة العربية

مجلة ثقافية تصدر عن قسم اللغة العربية بمعهد التربية للمعلمين

العدد الأول — مايو ١٩٨٥

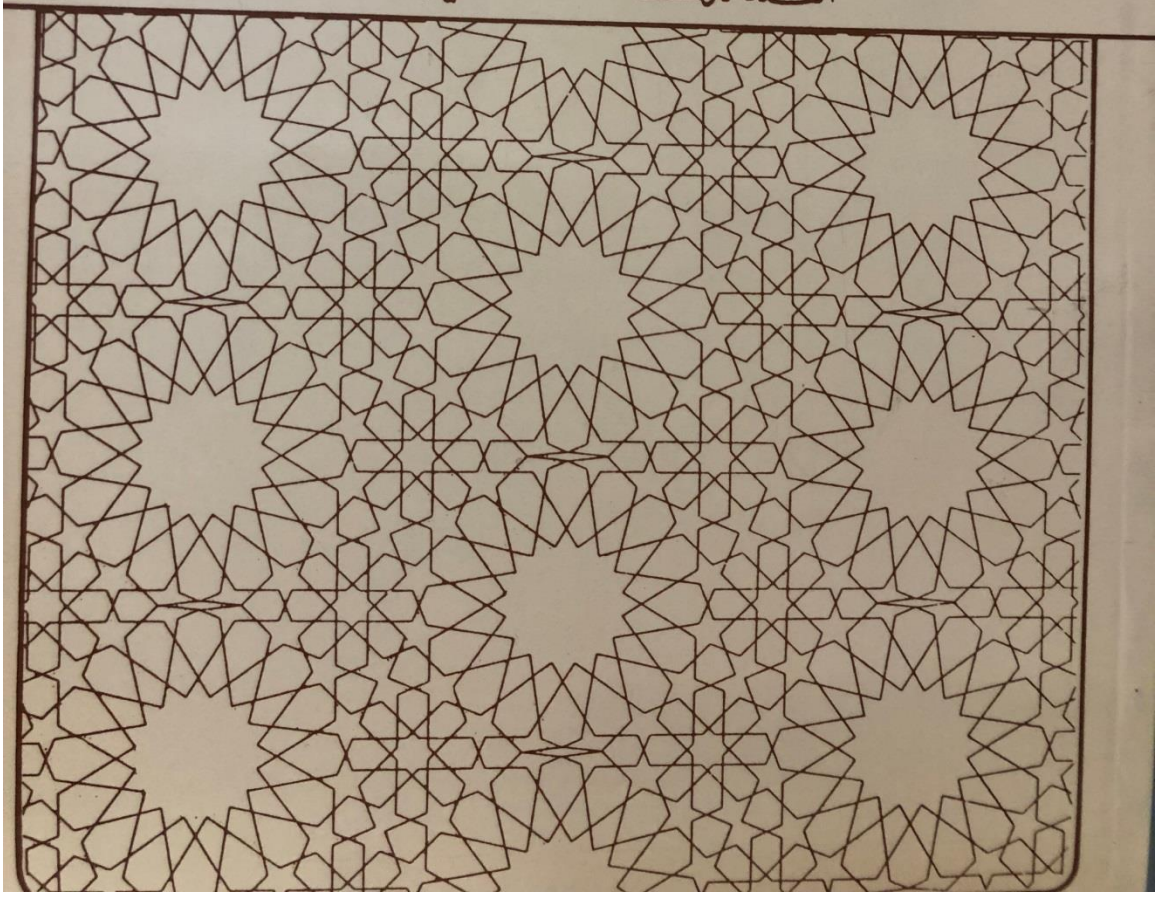

الهيئة العامة للتعليم التطبيقي والتدريب
معهد التربية للمعلمين

مجلة اللغة العربية

مجلة ثقافية تصدر عن قسم اللغة العربية بمعهد التربية للمعلمين

العدد الأول مايو ١٩٨٥

تقديم

الدكتور مرزوق يوسف الغنيم
مدير المعهد

اشراف

الدكتور حسن محسن
رئيس قسم اللغة العربية

المراسلات : مجلة اللغة العربية - الكويت - العديلية - ص.ب : ٢٤٠٥٣

هذه البحوث تعبّر عن آراء أصحابها فقط ولا تعبّر بالضرورة عن رأي المجلة

محتويات العدد

		صفحة
تقديم	د. مرزوق يوسف الغنيم	٣
هذا العدد	د. حسن محسن	٥
أصل الشعر العربي	د. صلاح عيد	١١
كتاب الأيام لطه حسين	د. حامد الهوال	١٧
الدستور الأخلاقي في القرآن الكريم	د. عبد الرشيد سالم	٤١
حرف اللام في اللغة العربية	د. فتحي الدجني	٥٧
قراءة في شعر الطبيعة المصرية	د. جودة أمين	٧٣
نوابغ الشعراء	د. رجا سمرين	٨٩
بناء أفعل في القرآن الكريم	د. توفيق أسعد	١٠٧
الدلالة الفنية لمقدمات المتنبي	د. عز الدين الجردلي	١٢٥
فنون الخط العربي	أ. جمال الدين حامد	١٤٩

نوابغ الشعراء

الدكتور رجا سمدين

نوابغ الشعراء

الدكتور رجا سمدين

تمهيد :

النوابغ طائفة من الشعراء عاشوا بين الجاهلية والعصور الإسلامية الأولى ، واستحق كلٌ منهم أن يحمل لقب نابغه ، وعددهم كما ورد في معجمات اللغة ومصادر الأدب العربي القديمة ثمانية وهم :

١ ـ زياد بن معاوية الملقب بالنابغة الذبياني .
٢ ـ قيس بن عبد الله الجعدي الملقب بالنابعة الجعدي .
٣ ـ عبد الله بن المخارق المعروف بالنابغة الشيباني .
٤ ـ يزيد بن أبان الحارثي المعروف بنابغة بني الديّان .
٥ ـ النابغة بن لأيٍ الغنوي .
٦ ـ الحرث بن بكر الشهير بالنابغة اليربوعي .
٧ ـ الحرث بن عَدْوان ، وهو نابغة بني تغلب .
٨ ـ النابغة العَدواني ولم تذكر المراجع اسماً لهذا النابغة ، واكتفت بذكر لقبه .

والثلاثة الأوائل من هؤلاء النوابع وهم الذبياني والجعدي والشيباني هم الأوفر حظّاً من الشهرة وبعد الصيت وذيوع الشعر . والحديث عنهم وعن شعرهم متوافر في مصادر الأدب ومراجعه .

أما الخمسة الباقون فلم أجد لهم حتى الآن ذكرًا في غير القاموس المحيط . وقد ورد ذكرهم في الصفحة الثالثة عشرة بعد المائة من الجزء الثالث ـ الطبعة الرابعة ـ من هذا القاموس تحت مادة نبغ .

ولعل من المناسب أن نتعرض لذكر بعض المعاني التي وردت تحت هذه المادة فنقول :

نبغ : كمنع ونصر وضرب بمعنى ظهر ، أي أن عين مضارع هذا الفعل مُثلثة الحركة كما تلاحظون .

ويُقال : نبغ الماء ونبع بمعنى واحد .
ونبغَ فلان : لم يكن في إرثه الشعر ثم قاله وأجاده .
ونبغ فيهم التفاق : إذا ظهر بعد ما كانوا يخفونه .
والنابغة : الرجل العظيم الشأن .
ونبغت المزادة : إذا كانت كتومًا فصارت سربةً .
والنوابغ : إناث الثعالب .
ونبغ الدقيق من خَصاص المنخل : خرجَ

وقد لاحظتُ من خلال الدراسة والبحث أن بين الثلاثة الأوائل من هؤلاء النوابغ عدداً من العوامل المشتركة التي أثَّرت في شاعريتهم أذكر منها :

أولا : أنهم جميعًا نشأوا في بيئة واحدة هي البيئة الصحراوية ، وقد طَبَعَ ذلك شعرهم بطابع واحد متشابه ، حيث أخلصوا للتقاليد الفنية التي حَرَصَ عليها شعراء العصر الجاهلي .

ثانيا : أنهم جميعًا اتصلوا بالملوك ، أو بمعنى آخر بالحكام الذين عاصروهم ، وكان لذلك تأثيرُه الواضح في شاعريتهم وأغراضها .

ثالثا : أن كلاً منهم قد اشتغل بالسياسة ، وأسهم في صنع أحداثها ، وانغمس في تيارها .

رابعًا : أن كلاً منهم قد قال الشعر بعد أن تقدمت به السن وفقًا لأرجح الروايات .

وبعد ، فقد آن لنا أن نقف وقفة متأنية عند كل شاعر من هؤلاء نلقي الضَوْءَ من

خلالها على تأثير العوامل المشتركة التي أشرنا إليها في شعرهم . ولنبدأ بأشهرهم وهو النابغة الذبياني .

حياته :

هو أحد الثلاثة المُقَدَّمين على سائر الشعراء ، وهو أبو أُمامة زياد بن معاوية من ذبيان من قيس عيلان بن مضر . كان يفد على النعمان صاحب الحيرة فيمدحه ـ فوقعت العداوة بينه وبين المُنَخَّل الشاعر ، فوشى به إلى النعمان ، فهرب النابغة إلى الغساسنة ونزل عند ملكهم عمرو بن الحارث الأصغر فمدحه . ومازال مقيمًا عنده حتى مات ، وخَلَفَهُ النعمان أخوه فمكث عنده حتى اصطلح مع النعمان صاحب الحيرة فعاد إليه .

وكان النابغة مقدمًا عند صاحب الحيرة على سائر الشعراء فجمع من ذلك ثروةً طائلة ، وصار يأكل في صحاف من الذهب والفضة .

وكان ذا منزلةٍ كبرى عند شعراء عصره حيث كانت تُضْرَبُ له في سوق عكاظ قبةٌ من أدم يُنشد فيها الشعراء قصائدهم بين يديه ليحكم أيُّهم أشعر . ولم يأنف من الوقوف بين يديه لذلك كبار الشعراء من أمثال الأعشى وحسان بن ثابت والخنساء .

وكثيرٌ من شعره يجري مجرى الأمثال ومن ذلك قوله :

نُبِّئْتُ أَنَّ أبا قابوسَ أَوْعَدني ولا قرارَ على زَأْرٍ منَ الأَسَدِ

وقوله :

فَحَمَّلْتَني ذنبَ امرِيءٍ وتركتَهُ كذى العُرِّ يُكْوى غيرُهُ وهو راتعُ

وقوله :

ولستَ بمُسْتَبْقٍ أخًا لا تلُمُّهُ على شَعَثٍ أيُّ الرجالِ المَهذَّبُ

ونَحْوُ ذلك كثيرٌ في شعره .

وقد طُبِعَ ديوان النابغة الذبياني عدة مرات ، كما قام بشرحه وتحقيقه عدد من

الأدباء ، ومنه نسخة خطية في دار الكتب المصرية ، وقد ترجمه المستشرق الفرنسي ديرنبرج إلى الفرنسية ونشره مع أصله العربي في المجلة الآسيوية الفرنسية سنة ١٨٦٨ م وكما اختلف مؤرخو الأدب في تحديد السنة التي ولد فيها الذبياني ، فقد اختلفوا في تحديد سنة وفاته فهي إما ٦٠٢م أو ٦٠٤م أو ٦٠٨ وهو الأرجح ، وأنه كان هرمًا عند وفاته . وإن دَلَّ هذا على شيء فإنما يدل على أنَّ النابغة شاهد الحروب بين قبيلته وأعدائها منذ بدايتها ، وأنه ربما أسهم في الكثير من معاركها بسيفه فضلاً عن لسانه ، ولقد جاء شعره معبرًا عن تلك الأحداث حتى أننا قلّما نجد له قصيدة دون أن تكون مرتبطة بحافز تاريخي دفعه إلى نظمها ؛ فشعره سجل لتلك الحقبة وما نجم فيها من ألوان التنازع والصراع بين القبائل مدة أربعين سنة هي عمر حرب داحس والغبراء .

والنابغة الذبياني كما يبدو في قصائده إمّا مفاخرٌ بنصر أو مهددٌ بحرب أو مؤلبٌ لحلف أو هاج لعدو أو مادح لملك أسدى إلى قومه أو إليه يدًا بيضاء ، أو متشفعٌ في إطلاق أسرى قومه عند الملوك .

ولعل من الخير أن نُلِمَّ في مستهل هذه الدراسة الموجزة بتأثير السياسة القبلية في شعره وذلك بالإشارة إلى حادثة عميقة الدلالة على شهرة الشاعر في القبائل وشدة تأثيره في سياستها ومدى دالته على الملوك وسمو منزلته عندهم .

وتتلخص هذه الحادثة في أن النعمان بن الجُلاح الكلبي أحد قادة الحارث بن أبي شمّر ملك الغساسنة أغار على بني ذبيان وأسر منهم خلقًا كثيرًا ، وكان ضمن مَنْ سبى من نسائهم عقرب بنت النابغة ، فلما رآها ابن الجُلاح قال لها : من أنتِ ؟ فقالت : عقرب بنت النابغة . فقال لها : والله ما أحدٌ أكرم علينا من أبيك وما أنفع لنا عند الملك ، ثم أكرمها وجهزها وخلّى سبيلها متوددًا إلى أبيها ، ولكن النابغة لم يبد تجاه ذلك أيَّ ردِّ فعل ، فلم يشكر ابن الجُلاح ولم يبادر إلى مدحه . فأدرك القائد أن الشاعر مازال مُغْضَبًا فقال : والله ما أرى النابغة يرضى بهذا منا . وأطلق له سبي غطفان وأسراهم محاولاً استرضاءه من جديد .

ولئن دلت هذه الحادثة على شيء فإنما تدل على مدى تأثير النابغة في السياسة وحكمته وإيثاره مصلحةَ القبيلة ، فقد استنكف عن جميل إبن الجُلاح ولم يمدحه حتى حرر

أسرى قبيلته أجمعين .

وقد وفق النابغة إلى غايته العسيرة في المدح فهو لا ينسى أنَّ مدح الجُلاح إنما يعني هجاءً للغطفانيين بصورة غير مباشرة ، لذلك فإننا نرى الشاعر يهم بالمدح دون أن يلجه ، وربما تشاغل عنه بالحديث عن سُعْدى وديارها في مطلع القصيدة ومقدمتِها ، وبوصف الأسيرات في منتصفِها ، ولم يُفْضِ إلى ذكر الممدوح إلا في الأبيات الأخيرة من القصيدة .

يقول النابغة في ذلك :

أهاجك من سُعداك مغنى المعاهد ... بروضةٍ نَعْمِيٍّ فذاتِ الأساودِ
تعاورَها الأرواحُ ينسفن تُرْبَها ... وكلُّ مُلِثٍّ ذي أهاضيب راعدِ
عهدت بها سُعدى وسُعدى غريرةٌ ... عروبٌ تهادى في جَوارٍ خرائدِ
لَعمري لَنِعْمَ الحيُّ صبَّح سِرْبنا ... وأبياتنا يومًا بذات المراودِ
يقودُوهمُ النعمان منه بِمُحْصِفٍ ... وكيدٍ يغُمُّ الخارجيَّ مناجد
فآب بأبكارٍ وعُون عواقلٍ ... أوانسَ يَحميها امرؤٌ غير زاهدِ
يخططن بالعيدان في كل مقعدٍ ... ويخبأن رمّان الثَّدىّ النواهِد
غرائر لم يلقين بأساء قبلها ... لدى ابن الجُلاح ما يثقن بوافدِ
أصاب بني غيظٍ فأضحوا عباده ... وجلَّلها نُعمى على غيرِ واحدِ
فلابد من عوجاء تهوي براكبٍ ... إلى ابن الجُلاحِ سيرُها الليلَ قاصدِ
تَخُبُّ إلى النعمان حتى تناله ... فدى لك من ربٍّ طريفي وتالدي
فسَكَّنْتَ نفسي بعدما طال روعُها ... والبستني نُعمى ولستُ بشاهِدِ
وكنتُ امرءاً لا أمدح الدهر سوقةً ... فلستُ على خير أتاك بحاسدِ
سبقتَ الرجال الباهشين إلى العُلا ... كسَبْق الجواد اصطاد قبل الطوارِدِ
عَلَوْتَ مَعَدًّا نائلاً ونكايةً ... فأنتَ لغيثِ الحمد أوَّلُ رائِدِ

وكما يمدح النابغة الذين يمدون إليه وإلى قبيلته أيديهم بالمعروف فإنه لا يتردد في أن يؤلب على من يتجنى عليها أو على أحلافها . وفي ديوانه قصيدة تصور غيظ الشاعر وتميزه على النعمان بن الحارث الغساني بعد أن نصحه الشاعر ونهاه عن غزو بني حُنّ بن حِزام وهم فرع من بني عذرة حلفاء ذبيان . وكان النعمان ينقم عليهم قتلهم رجلاً من طيّ

وسببهم امرأته وغلبتهم على وادي القرى . فلما أبى النعمان أن ينتصح بعث النابغة إلى قومه يخبرهم بما يبيته لهم النعمان ويأمرهم أن يقفوا إلى جانب حلفائهم بني حُنّ ففعلوا وهزموا النعمانَ الغساني وجيشَه فقال النابغة في ذلك :

لقد قلتُ للنعمان يوم لقيته ... يريدُ بني حُنٍّ ببرقةِ صادرِ
تجنّبْ بني حُنٍّ فإنّ لقاءَهم ... كريهٌ وإن لم تَلْقَ إلا بصابرِ
عظام اللُّهى ، أولاد عذرة إنهم ... لها ميم يستلهونها بالحناجرِ
وهم منعوا وادي القرى من عدوهم ... بجمعٍ مبيرٍ للعدو المكاثر
هُمُ طردوا عنها بليّاً فأصبحت ... بليٌّ بوادٍ من تهامة غائرِ
وهم منعوها من قضاعة كلِّها ... ومن مُضَر الحمراء عند التغاور
وهم قتلوا الطائي بالحجر عنوةً ... أبا جابر واستنكحوا أم جابر

والشاعر هنا يدخل في الموضوع مباشرة ولا يتلهى عن تشفيه بالنعمان وفخره بإنتصار قومه وحلفائهم بني حُنّ على الغساسنة بوصف الأطلال أو غير ذلك من الأغراض ، بل نراه بعد أن يُذكِّر النعمان بنصحه بلهجة تتضح بالتشفي والشماتة ينبري إلى مدح حُنّ ويذكر شجاعتهم وانتصاراتهم ، وفي ذلك مافيه من إغاظة للنعمان .

وشعر النابغة بطبيعته ينقسم إلى ثلاثة أقسام :

الأول : شعره في ملوك الحيرة مادحًا ومعتذرًا .

والثاني : شعره في ملوك غسان مادحًا ومستعطفًا

والثالث : شعره في الشئون البدوية التي تمس قبائل نجد وما كان بينها من صلات الحرب والسلم والتحالف وَنَقْضِ الأحلاف . ونحن حين نقرأ شعر النابغة في هذه الأقسام نشعر شعورًا قويًا بأن مكانة النابغة كانت عظيمة عند المناذرة والغساسنة وعند أهل البادية جميعا، ولعل عظم مكانته بين القبائل هو الذي رغّب فيه ملوك الحيرة وملوك غسان وأغراهم باصطناعه وتملقه حتى أصبح موضوعًا للنزاع بينهم .

وكان النابغة يشفع لقومه بشعره عند هؤلاء وأولئك ويقوم من القبائل البدوية مقام الزعيم المرشد فنراه مرة ينهاهم عن الحرب ، ويدفعهم إليها مرة أخرى ويحثهم على الاحتفاظ بحالفاتهم وعهودهم ، أو يخوفهم بطش الغساسنة .

ولسنا نشك في أنه كان للنابغة من زعماء القبائل معارضـون ينكرون سياستَهُ ، وحساد ينقمون عليه منزلته ومن هؤلاء المُنَخَّل اليشكري والربيع بن زياد العبسي وحسان بن ثابت وغيرهم .

ومن الأحداث البارزة التي كان للنابغة فضل في صنعها أنه ركب الى الحارث بن أبي شمّر الغساني يُكَلِّمُهُ في أسرى بني أسد وبني فزارة فأطلق سراحهم إكراماً له واحتفى به وأكرمه ، وكان حصن بن حذيفة الفزاري قد أغار على أطراف بلاد الشام وأصاب من الغساسنة قبل ذلك بعام .

ومنها أنه نَقِمَ على بني عامر محاولتهم التفريق بين بني فزارة وحلفائهم بني أسد ليتحالفوا هم معهم بدلاً منهم ، فانبرى لهم النابغة يهددهم ويتوعدهم ببني أسد .

وبعد ، فإنني أود أن أشير إلى عبارة تداولها من ترجم للنابغة من القدماء وهي : أنه أحد الأشراف الذين غضّ الشعر منهم ، ووضع من شأنهم .

وحقيقة الأمر أنه لولا الشعر لما عُرف النابغة ولطوى التاريخ ذكره كما طوى المئات من أشراف القبائل وشيوخها . ولست أدري كيف يغض الشعر ـ وهو أسمى فن عرفته العرب ـ من شأن إنسان يقرضه مهما علت منزلـة ذلك الإنسان . وإنني أزعم أن النابغة حتى في اعتذارياته التي كان يحاول بها استرضاء النعمان ليستعيد مكانته عنده إنما كان يفعل ذلك إيثارًا لمصلحة قومه على مصلحته الخاصة حتى لو كلفه ذلك بعض التنازل عن كرامته .

ومهما يكن من أمر فقد كان النابغة الذبياني أميراً من أُمراء الشعر في عصره وقد عدَّهُ ابن سلام الجمحي في الطبقة الأولى من الشعراء . وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه لايقدم عليه وعلى زهير بن أبي سلمى أحداً من الشعراء . ولكن التاريخ الذي لايرحم سجل للنابغة الذبياني فضله على قبيلته في الوقت الذي سجل عليه فيه تذلله الرخيص في اعتذارياته التي غضت من مكانته بوصفه زعيما من زعماء ذبيان .

فالشعر إذن لم يغض من مكانة النابغة الذبياني لأنه في الأصل لا يغض من مكانة أحد إلا إذا غَـضَّ الشاعر من مكانة نفسه بالتذلل والتلون وتلك هي حال النابغة الذبياني مع الشعر . وما أحسب أنه كان مستطيعًا أن يكون على غير هذه الصورة من الصور .

النابغةُ الجعدي

هو ثاني النوابغ شهرة وأسبقهم مولداً فهو أكبر من الذبياني لأنه ولد قبله ، وأطولُ منه عمراً لأنه مات في أصفهان في عهد يزيد بن معاوية .

اسمه حسّان بن قيس بن عبد الله بن وحوح بن عدس بن ربيعة بن جعدة أحد بني عامر بن صعصعة من مضر .

أمه امرأة من هجر ، وقيل بل هي حاضنته ، ويُكنى أبا ليلى . كان له أخ يقال له وحوح بن قيس وقد قتله بنو أسد .

والنابغة الجعدي من الشعراء المخضرمين، وكان ممن فكر في الجاهلية وأنكر الخمر والسكر وما تفعل بالعقل وهجر الأزلام والأوثان .

قال في الجاهلية قصيدة مطلعها :

الحمد لله لا شريك له من لم يقلها فنفسَهُ ظلما

وكان يذكر دين ابراهيم والحنيفية ويصوم ويستغفر وقد وفد على النبي ﷺ وأسلم على يديه وحسن إسلامه .

وقد روى يعلي بن أشد العقيلي عن الجعدي أنه قال : أنشدت الرسول ﷺ قولي :

بلغنا السماء مجدُنا وجدودُنا وإنا لنبغي فوق ذلك مظهرا

فقال النبي ﷺ : فأين المظهر يا أبا ليلى ؟ فقلت : الجنة . فقال : قل إن شاء الله . فقلت : إن شاء الله . ثم قلت :

ولا خير في حِلْم إذا لم تكن له
بوادِرَ تحمي صفوه أن يُكَدَّرا
ولا خير في جهل إذا لم يكن له
حليم إذا ما أورد الأَمْرَ أصدرا

فقال النبي ﷺ : « أجدتَ لا يفضُض الله قاك » قال : فقد رأيته وقد أتت عليه مائةُ سنة أو نحوُها وما انفضَّ من فيه سنٌ .

ومما يدل على قدم مولده قوله :

ومن يك سائلاً عني فإني ... من الفتيان أيام الخنان
أتت مائةٌ لعامَ ولدت فيه ... وعشرٌ بعد ذاك وَحِجَّتان

ومن هذين البيتين ندرك أن الجعدى كان فتى في العام الذي انتشر فيه داءالخنان ويبدو أن هذا المرض هو نوع من الانفلونزا أصاب الناس والإبل في النصف الثاني من القرن الخامس للميلاد .

وللجعدي شعر يدل على أنه قاله وله من العمر مائة وثمانون سنة وهو قوله :

لبست أناساً فأفنيتُهم ... وأفنيت بعد أُناس أُناسا
ثلاثةُ أهلين أفنيتُهم ... وكان الإله هو المستأسا

والأهل عند العرب ستون سنة .

وقد أنشد هذه الأبيات أمام عمر بن الخطاب فسأله : كم لبثت مع كل أهل ؟ قال : ستين سنة .

وأما ابن قتيبة الدينوري فإنه يروي عن ابراهيم بن محمد أن الجعدي عُمِّر مائتين وعشرين سنة . وليس ذلك بمستبعد فقد عاش الرجل حتى زمن يزيد بن معاوية ، وقَدِمَ على عبد الله بن الزبير بمكة بعد أن دعا لنفسه .

وبين هؤلاء وعمر بن الخطاب نحو ما ذكر ابن قتيبة فقد توفى عمر رضي الله عنه سنة ٢٣ هـ بينما توفي يزيد سنة ٦٣ هـ أي أن بين الخليفتين ما لا يقل عن أربعين سنة . وابن سلام الجمحي يضع الجعدي في الطبقة الثالثة من الشعراء .

ويقول التاريخ بأن نابغة بني جعدة قد اتصل بالملوك على نحو ما فعل نابغةُ بني ذبيان . وكان أول من اتصل به منهم المنذر بن مُحَرِّق ملك الحيرة . وهو يذكره ويذكر من

نادمهم في بلاطه بقوله :

تـذكـرتُ شيئـاً قـد مضى لِسَبيـلِهِ ... ومـن عـادة المـحـزون أن يـتـذكرا
نَـدامـادى عنـد المنـذر بـن محـرِّق ... أري اليـوم منهم ظـاهـر الأرض مقفرا
كُهـولٌ وفتيـانٌ كـأنَّ وجـوهَهـم ... دنـانيرُ مـا سيق في أرض قيـصـرا

والجعدي شاعر متقدم ولكنه كان مغلَّباً ما هاجى قط شاعراً إلا غُلب . ومن الذين غلبوه أوس ابن مغراء وليلى الأخيلية وكعب بن جعيل وهم دونهُ في المنزلة الشعرية .

شعر النابغة الجعدي في السياسة :

إن المتأمل في حياة النابغة الجعدي يجد أن دخوله في الإسلام كان في حقيقته حدثاً سياسياً فقد وجد الرجل نبياً يدعو إلى دين يؤمن هو بكثير من مبادئه حتى قبل أن يظهر ، ولهذا فإن وفوده على النبي وإسلامَهُ على يديه كان أشبهَ شيء بانتماء رجل إلى حزب استهوته مبادئه ومثله فالتحق به طائعا غير مكره .

ولعل أَوَّلَ موقف سياسي صوره الجعدي في شعره هو تلك الأبيات التي هجا فيها أبا موسى الأشعري والي البصرة من قبل عثمان بن عفان رضي الله عنه .

يحدثنا التاريخ أن بني عامر قبيلة الجعدي الكبرى رعت زرعاً حول البصرة ، فبعث أبو موسى الأشعري في طلبهم ، فتصارخوا : يا آل عامر ، ياآل عامر . فخرج النابغة الجعدي ملبياً الصريخ ومعه عصبة من قومه . فأُتيَ به إلى أبي موسى الأشعري فقال له : ما أخرجك ؟ قال : سمعت داعية قومي فخرجت . قال : فَضَرَبَهُ أسواطاً فقال النابغة :

رأيـتُ الـبـكـر بـكـر بـني ثـمـودٍ ... وأنـت أراك بـكـر الأشـعـريـنـا
فـإن يـكـن ابـن عـفـان أمـيـنـاً ... فـلم يـبـعـث بـك الـبـرَّ الأمـيـنـا
فـيـا قـبـر الـنـبـي وصـاحـبـيـه ... ألا يـاغـوثـنـا لـو تـسـمـعـونـا
ألا صـلى الهـكـم عـلـيـكـم ... ولا صـلى عـلى الأمـراءِ فـيـنـا

ومن هذه الأبيات يتضح لنا عدم رضا الجعدي عن أبي موسى وعن عثمان الذي لا يحسن تخير الأمراء الذين يوليهم أمر المسلمين ، وهو يستغيث بالنبي وصاحبيه ويصلي عليهم ولكنه لا يصلي على أمراء زمانه ولا يدعو لهم بخير .

أما الموقف الثاني فهو انحيازه إلى علي بن أبي طالب وخروجه معه إلى صفين . وفي ذلك يقول :

قد علم المصرانِ والعراقُ
أن عليّاً فحلُها العُتاقُ
أكرم من شُدِّ به نطاقُ
إن الأُلى جارَوْك لا أفاقوا
لهم سباقٌ ولكم سباقُ
قد علمت ذلكم الرفاقُ
سُقتم إلى نهج الهُدى وساقوا
إلى التي ليس لها عراقُ
في ملةٍ عادتها النفاق

فالشاعر كما يبدو ومن هذه الأرجوزه يؤمن بحق علي في الخلافة ، ويرى أنه يدعو إلى النهج السوي ، وأن ذلك جلي لا يحتاج إلى دليل ، وأن خصومه يدعون إلى نهج ليس له أصل أو جذور .

وانسجاماً مع هذا الموقف نجد أن الجعدي يلجأ إلى عبد الله بن الزبير ويمدحه ويستمنحه عندما أقحمته السنة في الوقت الذي كان يستطيع فيه أن يلجأ إلى معاوية . . وهو يعلم أن كف معاوية مبسوطة للشعر وأهله أكثر من كف عبد الله بن الزبير . ولكنه لا يفعل مادام في المسلمين مسئول يغنيه عن الوقوف بين يدي أمير من الأمويين .

وقد رُوي عن عبد الله بن عروة أنه قال :

أقحمت السنة نابغة بني جعده فدخل على ابن الزبير المسجد الحرام فأنشده :

حكيت لنا الصديق لما وليتنا وعثمان والفاروق فارتاحَ مُعْدَمُ

أتاك أبو ليلى يجوبُ به الدُّجى ... دُجى الليل جوّابُ الفلاة عَثَمْثَمُ
لتجبر منه جانباً زعزعت به ... صروفُ الليالي والزمان المُصَمِّمُ

فقال له ابن الزبير : هَوِّن عليك أبا ليلى فإن الشعر أهون وسائلك عندنا . . . أما صفوة مالنا فلآل الزبير، وأما عفوته فإن بني أسد بن عبد العُزَّى تشغلها عنك وتيماً معها ، ولكن لك في مال الله حقان : حقٌ برؤيتك رسول الله ، وحقٌ بشركتك أهل الإسلام في فيئهم . ثم أخذ بيده فدخل به دار النعم فأعطاه قلائص سبعاً وجملاً رجيلاً ، وأوقر له الإبل بُرّاً وتمراً وثياباً فجعل النابغة يستعجل فيأكل الحبَّ صرفاً . فقال ابن الزبير : ويح أبا ليلى لقد بلغ به الجَهد . فقال النابغة : أشهد أني سمعت رسول الله ﷺ يقول : «ما وليت قريشٌ فعدلت ، واسترْحِمَتَ فرحمت وحَدَّثت فَصَدَقتْ ، ووعدت خيراً فأنجزت فأنا والنبيون فُرّاطٌ لها ضُمن » .

ولما استقر الأمر لمعاوية كتب إلى مروان بن الحكم بالكوفة ليأخذ أهل النابغة وماله ففعل ، فلم يكن من النابغة إلا أن دخل على معاوية وعنده عبد الله بن عامر ومروانُ فأنشده :

مَنْ راكبٌ يأتي ابن هند بحاجتي ... على النأي والأنباءُ تُنْمى وتَجْلَبُ
وَيُخْبِرُ عني ما أقول ابن عامر ... ونعم الفتى يأتي إليه المُعَصَّبُ
فإن تأخذوا أهلي ومالي بِظِنَّةٍ ... فإني لحرّابُ الرجالِ مُجَرَّبُ
صبورٌ على ما يكرهُ المرءُ كلِّه ... سوى الظلم إني إن ظُلمت سأغضبُ

فهو لا يمدح معاوية ولا يستعطفه بل إنه لا يتورع عن أن يذكر ابن عامر بخير وهو واحد من حاشية معاوية ، وهو يُدِلُّ بنفسه ويفتخر بشجاعته ويعلن دون مواربة أنه لا يصبر على الظلم وأن الظلم يذكي نيران غضبه ويوري لهيبها . واستمعوا إلى ردِّ الفعل عند معاوية بعد أن سمع هذا الشعر من النابغة . لقد التفت الرجل إلى مروان فقال : ما

ترى ؟ قال مروان : أرى ألاّ ترد عليه شيئاً ، فقال معاوية : ما أهون والله عليك أن ينجحر هذا في غار ، ثم يُقَطِّعُ عرضي عليَّ ، ثم تأخذه العرب فترويه . . . ألا والله إن كنتَ لممن يرويه . . . أردد عليه كل شيءٍ أخذته منه .

ومن هذا يتبين لنا أن معاوية الداهية يحسب حساب الكلمة الشاعرة ويلجأ إلى الأخذ بالأحوط فيشتري شرفه وعرضه من الشاعر برد ماله وأهله عليه ، ويتقي شر هجائه الذي ستتداوله العرب ، والذي لا يأمن أن يكون مروان ممن يرويه .

أما الآن فإلى ثالث النوابغ وهو نابغة بني شيبان .

النابغة الشيباني

شاعر من ربيعة . . . اسمه عبدُ الله بن المخارق من بني شيبان . . . كان يقيم في البادية ويفد على خلفاء بني أمية في الشام فيمدحهم ويجزلون له العطاء . وكان نصرانياً . وهو يذكر الإنجيل والرهبان كثيراً في شعره ، ويحلف بالأيمان التي يحلف بها النصارى وهو من شعراء العصر الأموي .

وشاعر في وضع النابغة الشيباني لا يمكن إلا أن يكون منحازاً للسلطان ، فهو بوصفه نصرانياً لا يمكن إلا أن يكون كذلك . ومن هنا فقد كان دوره السياسي مقتصرا على استخدامه من قبل الخليفة الأموي على محاولة التعرف على رد فعل الرأي العام على ما ينوي الخليفة فعله بالنسبة لولاية العهد .

حدّث العَمْرِيّ عن العُتْبي قال : لما همَّ عبد الملك ابن مروان بخلع عبد العزيز أخيه وتولية الوليد ابنه للعهد ، وكان نابغة بني شيبان منقطعاً إلى عبد الملك فدخل إليه في يومٍ حَفْل والناس حواليه وولده قَدَّامه ، فمثل بين يديه وأنشده قوله :

اشتقتَ وانهلَّ دمعُ عينكَ أن أضحى قفاراً من أهلهِ طَلَحُ

حتى انتهى إلى قوله :

أزحت عنا آل الزبير ولو ... كانوا هم المالكين ما صَلَحوا
إن تَلْقَ بلوى فأنت مصطبرٌ ... وإن تلاقِ النُّعْمى فلا فَرَحُ
آل أبي العاصِ آلُ مَأْثُرةٍ ... غُرٌّ عتاقٌ بالخير قد نفحوا
خير قريش وهم أفاضلُها ... في الجِدِّ جدٌّ وإنْ همو مزحوا
أرحبُها أذرعاً وأصبُرها ... أنتم إذا القومُ في الوغى كَلَحوا
آليت جهداً وصادقٌ قسمي ... لربِّ عبد الله ينتصحوا
يظل يتلو الإنجيل يدرسُهُ ... من خشية الله قلبُه طَفِحُ
لَابْنُكَ أولى بملك والده ... ونجم من قد عصاك مُطَّرَح
داود عَدْلٌ فاحكم بسيرته ... ثم ابن حرب فإنهم نصحوا
وهم خيارٌ فاعمل بسنتهم ... واحيَ بخيرٍ واكدَحْ كما كدحوا

قال : فتبسم عبد الملك ولم يتلكم في ذلك بإقرارٍ ولا دفع فعلم الناس أنه راغب في خلع أخيه عبد العزيز من ولاية العهد . ولما بلغ ذلك عبد العزيز قال : لقد أدخل ابن النصرانية نفسه مُدخلاً ضيقاً ، فأوردها مورداً خطراً ، وبالله عليّ لئن ظفرت به لأخضبن قدمه بدمه .

وهذا موقف آخر من المواقف الصعبة التي زج النابغة الشيباني نفسه فيها وعادت عليه بما لا يشتهي ولا يحب .

فقد روى أبو عمر والشيباني قال : لما قُتل يزيد بن المهلب دخل النابغة الشيباني على يزيد بن عبد الملك فأنشده مهنئاً بذلك فقال :

ألا طال التنظّرُ والثَّواءُ ... وجاء الصيف وانكشف الغطاءُ
وليس يقيمُ ذو شجنٍ مقيمٍ ... ولا يمضي إذا ابتُغى المضاءُ
طوالَ الدهر إلا في كتابٍ ... ومقدارٍ يوافقُهْ القضاء
فما يُعطى الحريصُ غنىً لحرصٍ ... وقد يَنْمى لذى الجود الثراءُ
وكلُّ شديدةٍ نزلت بحيٍّ ... سيتبعها إذا انتهت الرخاءُ

إلى أن قال :

أؤمُّ فتىً من الأعياص ملكاً ... أغرَّ كأنّ غرَّتَهُ ضِياءُ
لأسمعَهُ غريبَ الشعر مدحاً ... وأثنى حيثُ يتصلُ الثناءُ
يزيدُ الخير فهو يزيدُ خيراً ... وينمى كُلّما ابتُغي النماء
فضضتَ كتائب الأزدي فضاً ... بكبشك حينَ لفَّهما اللقاء
نُرَجّيً أن تدوم لنا إماماً ... وفي ملك الوليد لنا رجاءُ
هشامٌ والوليد وكل نفسٍ ... تريد لك الفناءَ لك الفداءُ

وهي قصيدة طويلة . وقد منحه يزيد بن عبد الملك مقابلها مائة ناقة من نعم كَلْبٍ وأمر أن توقر له بُرّاً وزبيباً وكساءً . فلما تولى هشام بن عبد الملك الخلافة وفد عليه النابغة الشيباني ، فلما رآه قال له : يا ماصَّ ما أبقت المواسى من بظر أمِّه ألست القائل :

هشامٌ والوليدُ وكلُّ نَفْسٍ ... نزيدُ لَكَ الفناءَ لَكَ الفداءُ

أخرجوه عني والله لايرزأني شيئاً أبداً وحرمه . ولم يزل مدة خلافة هشام طريداً حتى ولي الوليد ابن يزيد فوفد إليه ومدحه مدائح كثيرة وأجزل صلته .

وبعد فإن ما عَرَضْتُهُ عن دور هؤلاء النوابغ في السياسة وصناعة الأحداث ليس إلا حديثاً مقتضباً أحببت أن ألقي من خلاله الضوء على هذا الجانب المهم من جوانب شعرهم . وأرجو أن يهيء الله لي الفرصة لأتمكن من إتمام هذه الدراسة وإخراجها مستوية على ساقها إلى القراء . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

الدكتور رجا سمرين